الدروس والمواعظ

من حياة الفاروق رضي الله عنه

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٢٢٥٧٨٨٢

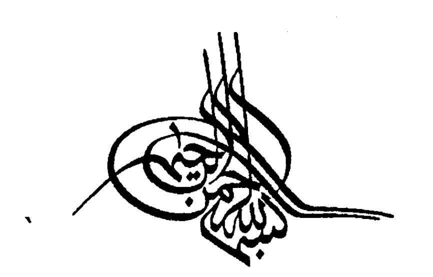
سلسلة الدعوة والدعاة

الدروس والمواعظ
من حياة الفاروق رضي الله عنه

المؤلف

محمد عبده

مكتبة الإيمان - المنصورة





المقدمة

المقدمة

الحمد لله الذى أنعم علينا بنور الإسلام ، الحمد لله على نعمه التى لا تحصى ولا تعد فهو الحنان المنان ، الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من عبادة الأوثان لعبادة الملك العلام.

الحمد لله الذى كتب الموت والحياة على الإنس والجان .

وعجبت من نفسى إذا ضحكت ... ومن الأنام إذا هم ضحكوا
رحل الأعزة عن ديارهم ... أهون بما أخذوا وما تركوا
والمال بين الناس مقتسم ... والحق للأرواح مشترك
وتعرنا الدنيا المسيئة ... والآمال والآجال تعترك
ونفوسنا كحمائم وقعت ... للصائدين ودونها الشبك
متبصرات فى حبائلها ... ووهى جناح ضمه الشرك
لله سبحت الجواهر ... والأعراض والأنوار والفلك
وتقدس الظلمات خالقها ... والشهب أفراد ومشتبك
خشعت لباريها البسيطة ... والجبال والقيعان والنبك

والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله سيد البرية ، مبلغ الرسالة العطرة الندية .

مَدَحْتُ رسول الله أبغى بمدحه وُفُورَ حظُوظى من كريمِ المآرب
مدحت امرأ فاق المديحَ مُوَحَّدًا بأوصافه عن مُبْعِدٍ ومُقارِبِ
نبيًا شَامَى فى المشارق نورُه فلاحت هَوَاديه لأهل المَغَاربِ
أتتنا به الأنباءُ قبل مجيئه وشاعت به الأخبار فى كل جانبِ
وأصبحت الكُهَّانُ تهتف باسمه وتَنفى به رَجْمَ الظنونِ الكواذبِ
وأنطقت الأصنامُ نُطقًا تبرأت إلى الله فيه من مَقال الأكاذبِ
وقالت لأهل الكُفر قولا مبينا أتاكم نبىٌّ من لؤَىٍّ بن غالب
ورَامَ استراقَ السَّمْعِ جِنٌّ فزيِّلت مقاعدهم منها رُجومُ الكواكب
هدانا إلى ما لم نكن نهتدى له لطول العَمَى من واضحات المذاهب

ثم أما بعد :

فها نحن ذا فى صدد كتاب جديد من هذه السلسلة « سلسلة الدعوة والدعاة » هذا الكتاب سيتعرض إن شاء الله إلى الدروس والمواعظ فى حياة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، وبالطبع عمر بن الخطاب ﷺ غنى عن التعريف فهو من أعدل الناس ، وأرحم الناس ، وأحكم الناس ، بشهادة الكافر قبل المسلم والجان قبل بنى الإنسان، ولا تتعجبوا عندما أقول لكم ذلك فقد جاء عن سليمان بن يسار أن الجن ناحت على عمر ﷺ وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال: سُمع صوت بجبل تَبالة حين قتل عمر ﷺ :

لِيَبْكِ على الإسلام من كان باكيا فقد أوشكوا صرعى وما قدم العهد
وأدبرت الدنيـا وأدبـر خيرهـا وقد ملها من كان يوقـن بالوعـد

نعم هذا ما قاله الجن فى حق عمر بن الخطاب ﷺ .

وقال ثابت بن قرة فى حقه :

(ما أحسُدُ هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس. . . أولهم: عمر ابن الخطاب فى سياسته ويقظته ، وحذره ، وتحفُّظه ودينه ، وصرامته وشهامته وقيامته فى صغير أمره وكبيره بنفسه ، مع قريحة صافية ، وعقل وافر ، ولسان عضب « أى حاد وصارم » وقلب شديد ، وطوية مأمونة، وعزيمة مأمومة ، وصدر منشرح وسر طاهر ، وتوفيق حاضر ورأى مصيب ، وأمر عجيب وشأن غريب . . . دعم الدين وشيد بنيانه وأحكم أساسه ، ورفع أركانه ، وأوضح حجته ، وأنار برهانه مَلكٌ فى زيٍّ مسكين . . ما غضَّ طرفه على خنا طهارته كالبطانة ، وبطانته كالطهارة . جرح وأسا ولان وقسى ، ومنع وأعطي - كل ذلك فى الله ولله . . . لقد كان من نوادر الرجال !! . . .) .

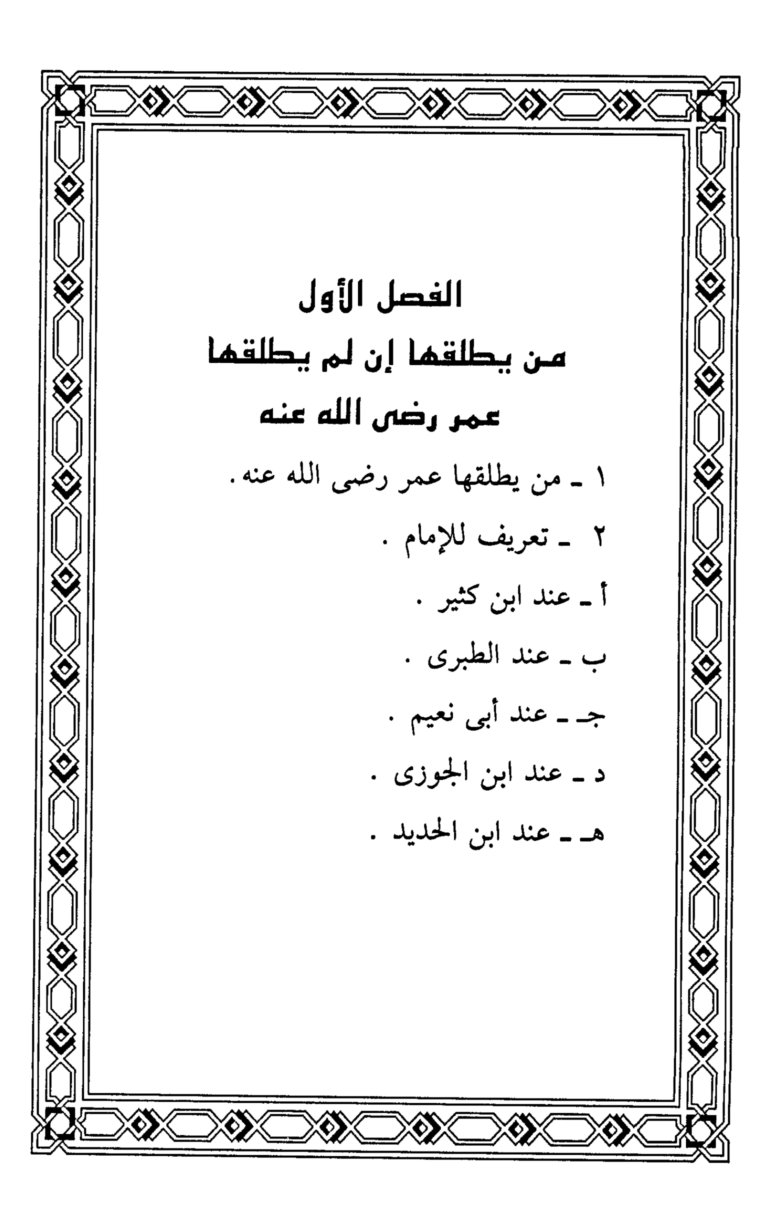
وقالت عاتكة ابنة يزيد :

فجعنـــــى فيــــــروز لادر دره	بأبيض تـالٍ للكتــاب مُنيــبِ
رؤوفٍ على الأدنى غليظٍ على العدا	أخى ثقة فى النائبات مُجِيــبِ
متى ما يَقُل لا يُكذبِ القول فعلــه	سريع إلى الخيرات غير قطــوب

وهناك العديد والعديد من الأبيات الشعرية ، التى تمدح هذا العملاق، ولكنى أكتفى بذلك حتى لا أطيل عليكم ، وأدعوكم ونفسى لقراءة هذا الكتاب الذى سأحاول فيه بأمر المولى عز وجل جمع بعض الدروس والمواعظ من حياة هذا العملاق وأرجو من المولى عز وجل أن أوفق وأعمل وإياكم بكل ما يكتب ويجمع اللهم أمين .

المؤلف

محمد عبده



الفصل الأول
من يطلقها إن لم يطلقها عمر رضى الله عنه

١ ـ من يطلقها عمر رضى الله عنه.

٢ ـ تعريف للإمام .

أ ـ عند ابن كثير .

ب ـ عند الطبرى .

جـ ـ عند أبى نعيم .

د ـ عند ابن الجوزى .

هـ ـ عند ابن الحديد .

الفصل الأول

من يطلقها إن لم يطلقها عمر رضى الله عنه

فى كتابنا السابق « الدروس والمواعظ من حياة الصديق رضي الله عنه » كان فصلنا الأول محور حديثه عن الموعظة ومن يعظ وقمنا بتعريف الموعظة وتعريف الصديق رضي الله عنه ، ولكن فى هذا الكتاب سنبدأ إن شاء الله بتعريف الدنيا وذمها ، أتدرون لما ؟!

لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرادته الدنيا ، ولكنه طلقها ثلاثا «طلقة لا رجعة فيها » أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعت إليه الدنيا بزخرفها وزينتها ومتاعها فقابلها بالزهد والتقشف والإقبال على الآخرة فهم الحقيقة وأدرك مقدارها فطلقها واسمحوا لى أن أقول « من يطلقها إن لم يطلقها عمر رضي الله عنه » وحتى لا أطيل عليكم فهيا بنا أولا نرى من يطلقها عمر رضي الله عنه .

* من يطلقها عمر رضى الله عنه :

فى عصرنا هذا أصبحت المادة هى المتحدث الوحيد ، هى الآمر والناهى ، هى من تأسر القلوب ، وتيسر الأمور ، والمادة من أهم مغريات الدنيا ، سهم مسموم من أسهم الدنيا ، ولكن ليس عند كل الناس ، فهناك أناس من أمة محمد ﷺ ما زالوا على العهد لا يتعلقون بالدنيا ولا تصيبهم أسهمها ، وحتى نكون على بينة فإن هؤلاء هم من يقتدون بمحمد ﷺ وأصحابه هؤلاء من فهموا الدنيا على حقيقتها

فطلقوها، واسمحوا لى أن أعرض عليكم حقيقة الدنيا .

يقول العلامة ابن قدامة :

ومن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب ، والآخرة كالدر يبقى ، قويت رغبته فى بيع هذه بهذه .

وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل : ٩٦] .

وقال أيضًا :

الآيات الواردة فى القرآن العزيز بعيب الدنيا ، والتزهيد فيها ، وضرب الأمثال لها كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾(٢).

وقوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

---

(١) آل عمران : ١٤ ، ١٥ . (٢) النجم : ٢٩ ، ٣٠ .

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ (٣) .

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز فى ذم الدنيا كتابا طويلا فيه:

(أما بعد . . . .

فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام ، وإنما أنزل آدم عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تَركها ، والغنى فيها فقرها ، تُذل من أعزها ، وتفقر من جمعها ، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه ، فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة ، وكن أسرَّ ما تكون فيها، احذر ما تكون لها ، سرورها مشوب بالحزن ، وصفوها مشوب بالكدر ، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبرًا ، ولم يضرب لها مثلا، لكانت أيقظت النائم ، ونبهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ ، فمالها عند الله سبحانه قدر ولا وزن ، ما نظر إليها منذ خلقها .

ولقد عرضت على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مفاتيحها وخزائنها ، لا ينقصه عند الله جناح بعوضة ، فأبي أن يقبلها وكره أن يحب ما أبغض خالقه ، أو يرفع ما وضع مليكه ، زواها الله عن الصالحين اختيارًا ، وبسطها لأعدائه اغترارًا ، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ، ونسى ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وآله

---

(٣) الحديد : ٢٠ .

وسلم حين شد على بطنه الحجر ، والله ما أحد من الناس بسط له فى الدنيا ، فلم يخف أن يكون قد مكر به ، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه ، وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه) .

وقال مالك بن دينار :

(اتقوا السحارة ، فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعنى الدنيا) (٤) .

من يتزوجها :

بعد أن عرفنا الدنيا على حقيقتها فهل يرضى أحد بالزواج منها ؟

بعد أن علمنا أن الدنيا كالثلج يذوب فى يد القابض عليه هذا المثل وإن دل فإنما يدل على أن الدنيا تتفلت من تحت أقدامنا لسنا فيها بخالدين فمن يبكى عليها ومن يتزوجها ؟

وردًا على هذا السؤال اسمحوا لى أن أعرض عليكم بعض الأخبار، ثم أترك الحكم لكم .

الخبر الأول : رؤية عيسى عليه السلام للدنيا :

يقول العلامة ابن قدامة :

قيل : إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا فى صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة .

فقال لها : كم تزوجت ؟

---

(٤) كل ما جاء من خبر فى كتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامه : ١٩٠ ، ١٩١ .

فقالت : لا أحصيهم .

فقال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟

قالت: بل كلهم قتلت .

فقال عيسى عليه السلام : بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ، كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحد ، ولا يكونون منك على حذر .

الخبر الثاني : رواية ابن عباس :

وروى ابن عباس ﷺ قال : يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية ، مشوهة خلقها ، فتشرف على الخلق. فيقال : هل تعرفون هذه ؟

فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه .

فيقال : هذه الدنيا التى تشاجرتم عليها وبها تقاطعتم الأرحام ، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ، ثم تقذف فى جهنم فتنادى : يارب أين أتباعى وأشياعى ؟

فيقول : ألحقوا بها أتباعها وأشياعها .

الخبر الأخير : قول أبى العلاء :

عن ابن العلاء ، قال : رأيت فى النوم عجوزا كبيرة عليها من كل زينة ، والناس عكوف عليها متعجبون، ينظرون إليها . فقلت : من أنت ويلك؟

فقالت : أما تعرفنى .

قلت : لا .

قالت : أنا الدنيا .

فقلت : أعوذ بالله من شرك .

قالت : إن أحببت أن تعاذ من شرى فأبغض الدرهم (٥) .

بعد هذه الأخبار الثلاثة أدركنا أن للدنيا من يريدها ولكنا نعوذ بالله أن نكون منهم ولنرجو جميعًا من المولى عز وجل أن نكون كسيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ إرادته الدنيا ولكنه طلقها ثلاثا ، وسيقول الكثير منا كيف طلق هذا الرجل الدنيا ؟ أوصف لنا بالضبط كيف طلقها!

وللرد على هذا السؤال أقول لكم هيا بنا جميعًا لننعم بالتعرف على هذا العملاق حتى يتضح لنا جيدًا كيف طلقها .

تعريف الإمام

اسمحوا لى أن أجعل التعريف متوسعًا نوعًا ما فأجمعه من عند أغلب علماء التاريخ والسيرة كما فعلنا فى كتابنا السابق « دروس ومواعظ من حياة الصديق » لأن هذا الجمع يتسنى لنا من خلاله التعرف الدقيق علي الإمام والله الموفق .

أولا : عند ابن كثير :

أ - نسبه ومفرداته :

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله

(٥) الأخبار الثلاثة فى مختصر منهاج القاصدين : ١٩٢ .

ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معبد بن عدنان القرشى .

أبو حفص العدوى ، الملقب بالفاروق ، قيل : لقبه بذلك أهل الكتاب .

وأمه : حنتمة بنت هشام أخت أبى جهل بن هشام أسلم عمر وعمره سبع وعشرين سنة ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع النبى ﷺ ، وخرج فى عدة سرايا وكان أميرًا على بعضها ، وهو أول من دعى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ ، وجمع الناس على التراويح ، وأول من عس بالمدينة ، وحمل الدرة وأدب بها ، وجلد فى الخمر ثمانين ، وفتح الفتوح ومصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ووضع الخراج ، ودون الدواوين ، وعرض الأعطية واستقضى القضاة ، وكور الكوَر ، مثل السواد والأهواز والجبال وفارس وغيرها وفتح الشام كله والجزيرة والموصل ، وميا فارقين ، وآمد وأرمينية ، ومصر وإسكندرية . ومات وعساكره على بلاد الرى .

فتح من الشام اليرموك وبصرى ودمشق والأردن ، وبيسان وطبرية ، والجابية ، وفلسطين والرملة ، وعسقلان وغزة والسواحل والقدس وفتح مصر وإسكندرية ، وطرابلس ، وبرقة ومن مدن الشام بعلبك وحمص وقنسرين وحلب وأنطاكية وفتح الجزيرة وحران والرها والرقة ونصيبين ورأس عين وشمشاط وعين وردة وديار بكر وديار ربيعة ، وبلاد الموصل وأرمينية جميعها .

وبالعراق القادسية والحيرة ونهر سير وساباط ومدائن كسرى وكورة الفرات ودجلة والأيلة والبصرة والأهواز وفارس ونهاوند وهمذان والرى وخراسان واصطخر وأصبهان والسوس ومرو ونيسابور وجرجان وأذربيجان وغير ذلك وقطعت جيوشه النهر مرارًا ، وكان متواضعًا فى الله، خشن العيش ، خشن المطعم ، شديدًا فى ذات الله ، يرقع الثوب بالأديم ويحمل القربة على كتفيه مع عظم هيبته ، ويركب الحمار عريا والبعير مخطوما بالليف وكان قليل الضحك لا يمازح أحدًا .

وكان نقش خاتمه [**كفى بالموت واعظا يا عمر**] (٦) .

ب - إسلامه :

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ وردَّهم النجاشى بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلا ذا شكيمة لا يُرَامُ ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله ﷺ وبحمزة ، حتى غاظوا قريشا.

فكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

قلت وثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال: « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب » .

---

(٦) نسبه ومفرداته : البداية والنهاية للعلامة ابن كثير : ٧/ ١٢٦ ، ١٢٧.

وقال زياد البكائي : حدثني مسعر بن كِدام ، عن سعد بن إبراهيم قال: قال ابن مسعود : إن إسلام عمر كان فتحا ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا وما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه.

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة .

حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت : والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا إذ أقبل عمر فوقف وهو على شركه ، فقالت : وكنا نلقى منه أذى لنا وشدة علينا .

قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟!

قلت : نعم ، والله لنخرجن في أرض من أرض الله ، إذ آذيتمونا وقهرتمونا ، حتى يجعل الله لنا مخرجا.

قالت : فقال : صحبكم الله !

ورأيت له رقةً لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجُنا .

قالت : فجاء عامر بحاجتنا تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا !

قال: أطمعت فى إسلامه ؟

قالت: قلت : نعم .

قال : لا يُسلم الذى رأيت حتى يُسلم حمارُ الخطاب !

قالت : يأسًا منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام .

وكان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، كانت قد أسلمت ، وأسلم زوجها سعيد بن زيد ، وهم مُسْتخفون بإسلامهم من عمر .

وكان نُعَيم بن عبد الله النحَّام ، رجل من بنى عدى قد أسلم أيضا مستخفيا من قومه .

وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحًا سيفه ، يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ، من بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن أبى طالب ﷺ، فى رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة .

فلقيه نعيم بن عبد الله فقال : أين تريد يا عمر ؟

قال : أريد محمدًا ، هذا الصابئ الذى فرَّق أمر قريش وسفَّه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها ، فأقتله.

فقال له نعيم : والله لقد غرَّتك نفسك يا عمر ! أترى بنى عبد

مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟

قال : وأى أهل بيتى ؟

قال: خَتَنُك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة ، فقد والله أسلما . تابعا محمدا ﷺ على دينه ، فعليك بهما .

فرجع عمر عائدا إلى أخته فاطمة ، وعندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها « طه » يقرئها إياها .

فلما سمعوا حسَّ عمر تغيَّب خباب فى مخدع لهم أو فى بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها.

فلما دخل قال: ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا .

قال : بلى والله لقد أخبرتُ أنكما تابعتما محمدا على دينه .

وبطش بختنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها.

فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك .

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى وقال لأخته : أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرأون آنفا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد . وكان عمر كاتبا .

فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها قال : لا تخافى وحلف بآلهته ليردَّنها إذا قرأها إليها.

فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه ، فقالت : يا أخى إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون.

فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها « طه » فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !

فلما سمع ذلك خباب بن الأرت خرج إليه فقال له : والله يا عمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ ، فإنى سمعته أمس وهو يقول: « **اللهم أيِّد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب**» ـ فالله الله يا عمر . فقال عند ذلك : فدُلَّنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خَلَل الباب فإذا هو بعمر متوشح بالسيف ، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف .

فقال حمزة فأذن له : فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه ، وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه . فقال رسول الله ﷺ « **إيذن له** » .

فأذن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه فى الحجرة، فأخذ بحُجْزته أى بمجمع ردائه ثم جذبه جذبة شديدة، فقال: «**ما جاء**

بك ياابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى يُنزل الله بك قارعة».

فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله .

قال : فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة ، فعرف أهل البيت أن عمر قد أسلم.

فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزُّوا فى أنفسهم حيث أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعلموا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ ، وينتصفون بهما من عدوِّهم .

قال ابن إسحق : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر أسلم رضي الله عنه .

* * *

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح المكى ، عن أصحابه عطاء ومجاهد وعمن روى ذلك أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أنه كان يقول :

كنت للإسلام مُباعَدًا ، وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزْوَرة (٧) .

فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك ، فلم أجد فيه منهم أحدا ، فقلت : لو أنى جئت فلانا الخمار لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها.

وخرجت فجئته فلم أجده . قال: فقلت : لو أنى جئت الكعبة

---

(٧) الحزورة : كانت سوق مكة .

فطُفت سبعا أو سبعين .

قال : فجئت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى ، وكان إذا صلى استقبل الشامَ وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الأسود واليمانى .

قال : فقلت حين رأيته ، والله لو أنى استمعتُ لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول .

فقلت : لئن دنوت منه لأستمع منه لأروِّعنه « أخوفه » ، فجئت من قِبَل الحجر ، فدخلتُ تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله ﷺ قائم يصلى يقرأ القرآن حتى قمت فى قِبلته مُسْتَقْبلَه ما بينى وبينه إلا ثياب الكعبة .

قال : فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبى وبكيت ودخلنى الإسلام.

فلم أزل فى مكانى حتى قضى رسول الله ﷺ صلاته ، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسن ، وكان مسكنه فى الدار الرقطاء ، التى كانت بيد معاوية .

قال عمر : فتبعته ، حتى إذا دخل بيت دار عباس ودار ابن أزهر أدركتُه ، فلما سمع حسى عرفنى ، فظن أنى إنما اتبعته لأوذيه ، فنهمنى «زجرنى » . ثم قال : ما جاء بك ياابن الخطاب هذه الساعة ؟

قال : قلت : جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال: فحمد الله رسول الله ﷺ ثم قال : « **قد هداك الله يا عمر** » ثم دعا لى بالثياب .

ثم انصرفت ودخل رسول الله ﷺ بيته (٨) .

جـ - عمر رضي الله عنه أرادته الدنيا ولم يردها :

سبق وتحدثنا فى هذا الأمر وقلنا أن عمر رضي الله عنه قد طلق الدنيا ثم سألنا كيف ؟ ومن خلال التعريف نذكر كيف طلق عمر رضى الله عنه الدنيا .

وهذا العنوان « عمر رضي الله عنه أرادته الدنيا ولم يردها » ليس من أقوالى ولكنه من أقوال.

* قال معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته فلم يردها . وأمـا نـحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن .

وعوتب عمر فقيل له : لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق؟

فقال: إنى تركت صاحبى على جادة ، فإن أدركت جادتهما فلم أدركهما فى المنزلة .

وكان يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف بالأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس ، وإذا مر بالنوى وغيره يلتقطه ويرمى به فى منازل الناس ينتفعون به .

هذا هو قول الإمام معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه، نقلته لكـم عـن آخره ، واسمحوا لي أن أنقل لكم بقية الخبر عن زهده وتركه الدنيا

---

(٨) خبر إسلامه : السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٣٢ - ٣٨ .

وراء ظهره وتطليقها ثلاثا من عند العلامة ابن كثير .

يقول العلامة ابن كثير :

قال النبى ﷺ « **أشد أمتى فى دين الله عمر** » وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « **إن لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فوزيراى من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراى من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، وإنهما السمع والبصر** » .

وعن عائشة رضي الله عنها ، أن النبى ﷺ قال : « **إن الشيطان يفرق من عمر** » وقال : « **أرحم أمتى أبو بكر وأشدها فى دين الله عمر** » وقيل لعمر إنك قضاء . فقال : الحمد لله الذى ملأ قلبى لهم رحما وملأ قلوبهم لى رعبًا .

وقال عمر : لا يحل لى من مال الله إلا حلتان حلة للشتاء وحلة للصيف ، وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم ثم أنا رجل من المسلمين .

وكان عمر إذا استعمل عاملاً كتب له عهدًا وأشهد عليه رهطا من المهاجرين واشترط عليه أن لا يركب برذونا ، ولا يأكل نقيا ولا يلبس رقيقًا ، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات فإن فعل شيئا من ذلك حلت عليه العقوبة .

وقيل : إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين، فيقول عمر : احبس هذه احبس هذه ، فيقول الرجل : والله كل ما حدثتك به حق غير ما أمرتنى أن أحبسه .

وقال أنس : كان بين كتفي عمر أربع رقاع ، وإزاره مرقوع بأدم ، وخطب عمر على المنبر وعليه إزار فيه اثنتى عشرة رقعة وأنفق فى حجته ستة عشر دينارًا ، وقال لابنه : قد أسرفنا .

وكان لا يستظل بشىء غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر ويستظل تحته ، وليس له خيمة ولا فسطاط .

ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أورق تلوح صلعته للشمس ، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة قد طبق رجليه بين شعبى الرحل بلا ركاب ، ووطاؤه كبش من صوف ، وهو فراشه إذا نزل وحقيبته محشوة ليفًا ، وهى وسادته إذا نام ، وعليه قميص من كرابيس قد رث وتخرق جيبه ، فلما نزل ، قال : ادعوا لى رأس القرية ، فدعوه ، فقال : اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى قميصا ، فأتى بقميص كتان ، فقال: ما هذا ؟

فقيل : كتان .

فقال : فما الكتان ؟

فأخبروه فنزع قميصه فغسلوه وخاطوه ثم لبسه ، فقيل له : أنت ملك العرب ، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الإبل فأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فلما سار جعل البرذون يهملج به فقال لمن معه : احبسوا ، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين ، هاتوا جملى. ثم نزل وركب الجمل (٩) .

بعد كل هذا أظن أننا أدركنا جيدًا « أن عمر بن الخطاب ﷺ إرادته

(٩) الخبر فى البداية والنهاية للعلامة ابن كثير ٧/ ١٢٧،ـ ١٢٨ .

الدنيا ولكنه لم يردها » . والآن هيا بنا لنرى التعريف عند علامة آخر غير ابن كثير .

ثانيا : عند ابن جرير الطبري :

أ ـ نسبه ومفرداته :

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، عن محمد بن عمر وهشام ابن محمد وحدثني عمر ، قال : حدثنا على بن محمد ، قالوا جميعًا في نسب عمر : هو .

عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رَزاح بن عدى بن كعب بن لؤى .

وكنيته أبو حفص ، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم .

تسميته بالفاروق :

قال أبو جعفر : وكان يقال له الفاروق .

وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك رسول الله ﷺ .

ذكر من قال ذلك : حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر . قال : حدثنا أبو حزرة يعقوب بن مجاهد ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبي عمرو ذكوان ، قال: قلت لعائشة : من سمى عمر بالفاروق ؟

قالت : النبى ﷺ .

وقال بعضهم : أول من سماه بهذا الاسم أهل الكتاب ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال ابن شهاب : بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق ، وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم ، ولم يبلغنا أن رسول الله ﷺ ذكر من ذلك شيئا .

* ومن مفرداته :

عن حصين المرى ، قال : قال عمر : إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده ، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق .

وعن يونس عن الحسن ، قال : قال عمر : إذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى أكون أسوة للناس.

وأيضًا :

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال: حدثنا النضر بن شميل ، قال: أخبرنا قطن ، قال : حدثنا أبو يزيد المدينى ، قال: حدثنا مولى لعثمان ابن عفان قال: كنت رديفا لعثمان بن عفان ، حتى أتى على حظيرة الصدقة فى يوم شديد الحر شديد السموم ، فإذا رجل عليه إزار ورداء، قد لف رأسه جرداء يطرد الإبل يدخلها الحظيرة حظيرة إبل الصدقة ،

فقال عثمان : من ترى هذا ؟ قال: فانتهينا إليه ، فإذا هو عمر بن الخطاب ، فقال: [هذا والله القوى الأمين] يقصدون بهذا الوصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وأيضا :

حدثنى جعفر بن محمد الكوفى وعباس بن أبى طالب ، قالا: حدثنا زكريا يحيى بن مصعب الكلبى ، قال : حدثنا عمر بن نافع ، عن أبى بكر العبسى ، قال : دخلت حير الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب ، قال : فجلس عثمان فى الظل يكتب وقام على رأسه يمل عليه ما يقول عمر ، وعمر فى الشمس قائم فى يوم حار شديد الحر ، عليه بردان أسودان ، متزرًا بواحد ، وقد لف على رأسه آخر، يعد إبل الصدقة ، يكتب ألوانها وأسنانها فقال على لعثمان ـ وسمعته يقول : نعت بنت شعيب فى كتاب الله : ﴿ **يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين** ﴾ .

ثم أشار على بيده إلى عمر .

فقال : « هذا القوى الأمين ».

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدثنا إسماعيل ، عن يونس ، عن الحسن قال: قال عمر : لئن عشت إن شاء الله لأسيرن فى الرعية حولاً ، فإنى أعلم أن للناس حوائج تقطع دونها أما عمالهم فلا يرفعونها إلى ، وأما هم فلا يصلون إلى ، فأسير إلى الشام ، فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير

إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ، والله لنعم الحول هذا ! .

* حدثنا محمد بن عون ، قال: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج قال: حدثنا صفوان بن عمرو ، قال: حدثنى أبو المخارق زهير ابن سالم أن كعب الأحبار ، قال: نزلت على رجل يقال له مالك - وكان جارًا لعمر بن الخطاب - فقلت له : كيف بالدخول على أمير المؤمنين ؟

فقال : ليس عليه باب ولا حجاب ، يصلى الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء.

* حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد الهمدانى ، قال : حدثنا أبو معاوية عن أبى حيان ، عن أبى الزنباع ، عن أبى الدهقانة، قال: قيل لعمر بن الخطاب : إن هاهنا رجلاً من أهل الأنبار له بصر بالديوان، لو اتخذته كاتبا ! فقال عمر : لقد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين !

* حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد ، عن أبيه ، عن جده ، أن عمر بن الخطاب ﷺ خطب الناس ، فقال : والذى بعث محمدًا بالحق ، لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات خشيت أن يسأل عنه آل الخطاب .

قال أبو زيد : آل الخطاب يعنى نفسه ، ما يعنى غيره.

* وكان عمر ﷺ إذا أراد أن يأمر المسلمين بشىء أو ينهاهم عن

شىء مما فيه صلاحهم بدأ بأهله ، وتقدم إليهم بالوعظ لهم ، والوعيد على خلافهم أمره ، كالذى حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمر بالمدينة ، عن سالم ، قال: كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شىء جمع أهله، فقال : إنى نهيت الناس عن كذا وكذا ، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير - يعنى إلى اللحم - وأقسم بالله لا أجد أحدًا منكم فعله إلا اجتمعت عليه العقوبة (٩) .

إسلامه :

قال أبو جعفر : ذُكر أنه أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى وعشرين امرأة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : ذكرت له حديث عمر ، فقال: أخبرنى عبد الله بن ثعلبة بن صُعير ، قال : أسلم عمر بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى وعشرين امرأة (١٠) .

* أين الحقيقة :

إن من يحب الدنيا ، يعمى تمام العمى عن الحقيقة ، هذه الحقيقة هى « إن طالت فإلى متى » مهما طال العمر فلابد من الورود إلى القبر

---

(٩) نسبه ومفرداته : تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٥/١٨٦ - ٢٠١.

(١٠) إسلامه : تاريخ الأمم والملوك : ٥/١٩٢ ، ١٩٣ .

ذلك المكان الموحش المرعب فى هيئته المفزع فى حقيقته ، والله ما يعمره ولا ينيره إلا الإيمان ، ثم بعد القبر ، النشر والحساب هذه هى الحقيقة التي أدركها ابن الخطاب رضي الله عنه فعمل لآخرته لأنه يعلم أن دنياه فانية ولنقرأ سويا ما كتب عند العلامة ابن جرير .

يقول العلامة ابن جرير الطبرى :

حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا على بن محمد ، عن ابن جعدبة ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، عن سعيد بن المسيب ، قال: حج عمر ، فلما كان بضَجْنانَ قال: لا إله إلا الله العظيم العلى ، المعطى ما شاء من شاء ! كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعةِ صوف، وكان فظا يتعبنى إذا عملت ، ويضربنى إذا قصرت ، وقد أمسيت وليس بينى وبين الله أحد ثم تمثل :

لا شىء فيما ترى تبقى بشاشتـــه

يبقى الإله ويودى المال والولَـــــدُ

لم تغن عن هُرْمُزٍ يومـــا خزائنـه

والخُلدَ قد حاولت عادُ فما خلدوا

ولا سُليمان إذ تجرى الرياح لـــه

والإنس والجِنُّ فيما بينها تَـــردُ

أين الملوك التى كانت نوافلهـــا

من كـان أوبِ إليهـا راكـب يَفِدُ

حوضا هنالك موردًا بلا كــذب

لابد من ورده يومًا كما وردُوا (١١)

هذه هى الحقيقة الكل رغم أنفه ميت ، الكل رغم أنفه مغادر هذه الزائلة فَلِمَ يتعلق بها من تعلق؟ .

ثالثا : تعريف أبى نعيم :

قال الشيخ أبى نعيم رحمه الله تعالى :

وثانى القوم عمر الفاروق ، ذو المقام الثابت المأنوق ، أعلن الله تعالى به دعوة الصادق المصدوق ، وفرق به بين الفصل والهزل ، وأيد بما قواه به من لوامع الطول ، ومهد له من منائح الفضل شواهد التوحيد ، وبدد به مواد التنديد فظهرت الدعوة ، وترسخت الكلمة ، فجمع الله بما منحه من الصولة ما نشأت لهم من الدولة ، فعلت بالتوحيد أصواتهم بعد تخافت ، وتثبتوا فى أحوالهم بعد تهافت ، غلب كيد المشركين بما ألزم قلبه من حق اليقين ، لا يلتفت إلى كثرتهم وتواطيهم ولا يكترث لممانعتهم وتعاطيهم . اتكالا على من هو منشئهم وكافيهم ، واستنصارا بمن هو قاصمهم وشافيهم ، محتملا لما احتمل الرسول ، ومصطبرا على المكاره لما يؤمل من الوصول ، ومفارقا لمن اختار التنعم والترفيه، ومعانقا لما كلف من التشمر والتوجيه، المخصوص من بين الصحابة بالمعارضة للمبطلين، والموافقة فى الأحكام لرب العالمين، السكينة تنطق على لسانه، والحق يجرى الحكمة عن بيانه كان للحق مائلا، وللأثقال حاملا ، ولم يخف دون الله طائلا (١٢) .

---

(١١) أين الحقيقة : تاريخ الأمم والملوك : ٥/٢١٥.

(١٢) حلية الأولياء ١/٣٨ ، ٣٩ .

الإسلام عزة :

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ثنا عبد الحميد بن صالح ثنا محمد بن أبان عن إسحاق بن عبد الله بن أبان بن صالح عن مجاهد عن ابن عباس قال: سألت عمر رضى الله تعالى عنه لأى شيء سميت الفاروق ؟ !

فقال : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام ، ثم شرح الله صدرى للإسلام ، فقلت « الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى » فما فى الأرض نسمة أحب إلى من نسمة رسول الله ﷺ ، قلت أين رسول الله ﷺ ؟

قالت أختى : هو فى دار الأرقم بن أبى الأرقم عند الصفا .

فأتيت الدار وحمزة فى أصحابه جلوس فى الدار ، ورسول الله ﷺ فى البيت فضربت الباب فاستجمع القوم.

فقال لهم حمزة : ما لكم ؟!

قالوا : عمر .

قال : فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابه ثم نثره نثرة فما تمالك أن وقع على ركبته .

فقال : « ما أنت بمنته يا عمر ؟ ».

قال: فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

قال فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد . قال : فقلت: يا

رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟

قال : « **بلى . والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم** ».

قال : فقلت : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق لتخرجن ، فأخرجناه فى صفين ، حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر ، له كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد ، قال فنظرت إلى قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها.

فسمانى رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق . وفرق الله به بين الحق والباطل (١٣) .

*** وافقت ربى :**

ثنا أبو إسرائيل عن الوليد بن العيزار عن عمرو بن ميمون عن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه قال: ما كنا ننكر ونحن أصحاب رسول الله ﷺ متوافرون ـ أن السكينة تنطق على لسان عمر رضى الله تعالى عنه .

أما بالنسبة للعنوان فإليكم النص الآتى:

* حدثنا محمد بن على بن مسلم ثنا محمد بن يحيى بن المنذر ثنا سعيد بن عامر ثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: « وافقت ربى عز وجل فى ثلاث فى مقام إبراهيم ، وفى الحجاب ، وفى أسارى بدر » .

---

(١٣) حلية الأولياء : ١/ ٤٠.

* حدثنا سليمان بن أحمد ثنا عمرو بن أبى الطاهر ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا عبد الله بن عمر عن جهم بن أبى الجهم عن مسور بن مخرمة عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : « **إن الله تعالى عز وجل وجعل الحق على لسان عمر وقلبه** » .

* ثنا سماك أبو زميل قال حدثنى ابن عباس قال: حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما قال: لما كان يوم بدر فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون ، وأسر منهم سبعون ، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليا رضوان الله عليهم فقال لى رسول الله ﷺ : « **ما ترى يا ابن الخطاب؟** ».

قال : فقلت : أرى أن تمكننى من فلان ـ قريب عمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه حتى يعلم الله عز وجل أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم ، وأئمتهم وقادتهم .

فلم يهو رسول الله ﷺ ما قلت . فأخذ منهم الفداء قال عمر : فلما كان الغد غدوت إلى النبى ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، فقلت يا رسول الله أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما .

قال النبى ﷺ : « **الذى عرض على أصحابك من الفداء ، لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة** » لشجرة قريبة فأنزل الله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

(٦٨) ﴾ (١٤) ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد فى العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل سبعون ، وفسر أصحاب النبى ﷺ من النبى ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله عز وجل ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) ﴾ (١٥) .

* ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر أن النبى ﷺ لما أسر الأسرى يوم بدر استشار أبا بكر رضى الله تعالى عنه .

قال : قومك وعترتك فخل سبيلهم .

فاستشار عمر رضى الله تعالى عنه فقال : اقتلهم ففاداهم رسول الله ﷺ ، فأنزل الله ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) ﴾ (١٦) .

* ثنا عبد الوهاب بن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش قال سمعت عمر رضى الله تعالى عنه يقول : لما توفى عبد الله بن أبى سلول ، دعى رسول الله ﷺ إلى الصلاة عليه ، فلما قام يريد الصلاة عليه

---

(١٤) الأنفال: ٦٧ ، ٦٨ .

(١٥) آل عمران : ١٦٥ .

(١٦) الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ .

تحولت فقلت :

يا رسول الله أتصلى على عدو الله ابن أبىّ بن سلول القائل يوم كذا وكذا؟! فجعلت أعدد أيامه ، ورسول الله ﷺ يبتسم حتى أكثرت، فقال:

« أخر عنى يا عمر إنى خيرت فاخترت ، قد قيل استغفر لهم أولا تستغفر لهم ، فلو أعلم أنى إذا زدت على السبعين غفر له لزدت » ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ومشى معه ، حتى قام على قبره وفرغ من دفنه فعجبا لى ولجرأتى على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿ وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾[١٧] .

فما صلى رسول الله ﷺ بعدها على منافق حتى قبضه الله عز وجل.

* قال الشيخ رحمه الله : فأخلى همه فى مفارقة الخلق فأنزل الله تعالى الوحى فى موافقته للحق ، فمنع الرسول ﷺ من الصلاة عليهم وصفح عمن أخذ الفداء منهم لسابق علمه منهم ، وطوله عليهم وكذا سبيل من اعتقد فى المفتونين الفراق ، أن يؤيد فى أكثر أقاويله بالوفاق ، ويعصم فى كثير من أحواله وأفاعيله من الشقاق ، وكان للرسول ﷺ

---

(١٧) التوبة : ٨٤ ، ٨٥ .

في حياته ووفاته مجامعا ، ولما اختار له في يقظته ومنامه متابعا ، يقتدى به في كل أحواله، ويتأسى به في جميع أفعاله [١٨] .

رابعا : عند ابن الجوزي :

في كتاب التبصرة للعلامة ابن الجوزي جاء تعريف عمر بن الخطاب ﷺ ونسبه وبعض من أفضليته تحت عنوان « فضل عمر » وقدم لهذا العنوان بمقدمة تشبه مقدمة الخطبة لذا سأعرض الجميع عليكم عسى أن ينتفع بهذا الكلام الطيب في مجال الدعوة .

فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

الحمد لله خالق كل مخلوق ، ورازق كل مرزوق ، سابق الأشياء، فما دونه مسبوق ، موجد المنظور والملبوس والمذوق أنشأ الآدمي بالقدرة من ماء مدفوق ، وركب فيه العقل يدعو إلى مراعاة الحقوق ، والهوى يحث على ما يوجب العقوق ، فاحذر وفاق المشتهى فإنه يرمى من فوق فُوق ، فسح داود لنفسه في نظرة فاتسعت الخروق وغفل ابنه سليمان عن طاعته « فطفق مسحا بالسوق » [١٩] .

أحمده على ما يقضي ويسوق مما يغم وما يشوق ، وأقر له بالتوحيد هاجرًا يغوث ويعوق وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله وقد ازدحمت سوق الباطل في أروج سوق ، فدمغ بحقه أهل الزيغ وأرباب الفسوق ، صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر الصديق وعلى الملقب بالفاروق . وعلى عثمان الصابر من الشهادة على مر المذوق ، وعليّ

(١٨) وافقت ربي : حلية الأولياء لأبي نعيم : ١/ ٤٢ ـ٤٤.

(١٩) سورة ص : ٣٣ .

مطلق الدنيا فما غره الزخرف والراووق وعلى العباس أقرب الكل نسبًا وأخص العروق .

اللهم يا مالك المساء والشروق ، احفظنا من مساءة الحوادث والطروق ، وهب لنا من فضلك ما يصفو ويروق ، وزد آمالنا من إحسانك فوق ما نرجو ونتوق ، افتح لى وللحاضرين مُوقَ بصر البصيرة لحبيب الموق.

* أخبرنا هبة الله بن محمد ، أخبرنا الحسن بن على ، أخبرنا أحمد بن جعفر حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا ، أبى ، حدثنا فزارة ابن عمر ، حدثنا إبراهيم يعنى ابن سعد عن أبيه ، عن أبى سلمة ، عن عبد الرحمن ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **إنه كان فيمن مضى قبلكم من الأمام ناس محدثون وإنه إن كان فى أمتى هذه منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب**» .

أخرجاه فى الصحيحين .

واعلم أن عمر رضي الله عنه ممن سبقت له الحسنى ، وكان مقدما فى الجاهلية والإسلام .

أما فى الجاهلية فكانت له السفارة والمفاخرة ، فإن وقع بين قريش وغيرهم بعثوه سفيرًا وإن فاخرهم حى بعثوه مفاخرا ورضوا به.

*** وأما فى الإسلام ففضائله كثيرة .**

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب وعند كعب يلقى رسول الله ﷺ

فى النسب .

* عن أنس بن مالك ﷺ قال: خرج عمر متقلدًا السيف فلقيه رجل من بنى زهرة ، قال: أين تعمد ؟

فقال : أريد أن أقتل محمدا .

قال: وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدًا؟

فقال له عمر : ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذى أنت عليه.

قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر ؟ إن ختنك وأختك قد صبئا وتركا دينك الذى أنت عليه فمشى عمر ذامرًا « من شدة الغضب » حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حِسَّ عمر توارى فى البيت فدخل عليهما .

فقال: ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم ؟ قال: وكانوا يقرءون «طه» .

فقالا : ما عدا حديثا تحدثناه بيننا .

قال : فأعلمكما قد صبأتما .

فقال له ختنه : أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك ؟

فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدمى وجهها فقالت وهى غضبى : يا عمر إن كان الحق فى غير دينك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

فلما يئس عمر قال: أعطونى هذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه ، فقالت : إنك نجس ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ . فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ «طه» حتى انتهى إلى قوله ﴿ **إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى** ﴾ فقال عمر : دلونى على محمد . فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال أبشر يا عمر فإنى أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس : « اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام ».

قال : ورسول الله ﷺ فى الدار التى فى أصل الصفا . فانطلق عمر حتى أتى الدار ، قال: وعلى باب الدار طلحة وحمزه وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة : نعم فهذا عمر فإن يرد الله بعمر خيرا يسلم ويتبع النبى ﷺ وإن يسكن غير ذلك يكن قتله علينا هينا ، قال: والنبى ﷺ داخل يومى إليه، فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: « **ما أنت منتهيا يا عمر حتى ينزل بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة اللهم هذا عمر بن الخطاب ، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب** » فقال عمر : أشهد أنك رسول الله . فأسلم وقال: اخرج يا رسول الله.

وقد روى أنه لما أسلم قال:

الحمد لله الذى وجبت له ... علينا أيادى مالها غير

وقد بدأنا فكذبنا وقال لنا ... صدق الحديث نبى عنده الخبر

وقد لطمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربى عشية قالوا قد هدى عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل ... بلطمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش ما هذه ... والدمع من عينها عجلان يبتـدر
أيقنت أن الذى تدعوه خالقهـا ... فكان يسبقنـى مـن عبـرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقـنـا ... وأن أحمد فينا اليـــوم مشتهـر
نبى صدق أتى بالحق من ثقـة ... وافى الأمانة ما فى عوده خـور

قال : بلى والذى نفسى بيده .

قال : ففيم الاختفاء، والذى بعثك بالحق لتخرجن ، قال عمر: فأخرجناه فى صفين ، حمزة فى أحدهما وأنا فى الآخر له كديد «صوت» ككديد الطحين ، حتى إذا دخلنا المسجد نظرت قريش إلى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها، قال: فسمانى رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق ، وفرق الله بى بين الحق والباطل .

قال ابن مسعود : ما زلنا أعزه منذ أسلم عمر.

* وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر ؟**

قال لعمر بن الخطاب . فذكرت غيرتك فوليت مدبرا » فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله [٢٠] .

---

(٢٠) التبصرة لابن الجوزى : ١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٦.

عمر رضي الله عنه يصرع الجان :

من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ أنه قال لعمر : **«والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك »**.

قال ابن مسعود :

لقى رجل من أصحاب النبى ﷺ الشيطان فى زقاق من أزقة المدينة فدعاه الجن إلى الصراع فصرعه الإنس فقال: دعنى. ففعل.

فقال: هل لك فى المعاودة ؟ ففعل فصرعه فجلس على صدره ، فقال: ما الذى يعيذنا منكم ؟.

قال : آية الكرسى .

فقال رجل لابن مسعود: من ذاك الرجل أعمر هو ؟ فعبس وبسر وقال: « **ومن عسى أن يكون إلا عمر** » (٢١) .

وأخيرا : عند أبي الجديد :

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صعب ، عظيم الهيبة شديد السياسة ، لا يُحابِى أحدًا ، ولا يراقب شريفا ولا مشروفا .

وكان أكابر الصحابة يتحامَوْن ويتفادَوْن من لقائه، كان أبو سفيان بن حرب فى مجلس عمر، وهناك زياد بن سُمَيّة وكثير من الصحابة ، فتكلم زياد فأحسن ـ وهو يومئذ غلام ـ فقال على عليه السلام ـ وكان حاضرا ـ لأبى سفيان وهو إلى جانبه : لله هذا الغلام ، لو كان قرشيا

---

(٢٢) التبصرة : ١/٤٩٦.

لساق العرب بعصاه!

فقال له أبو سفيان : أما والله لو عرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك.

قال: ومن أبوه ؟

قال : أنا وضعته والله فى رحم أمه ، فقال على عليه السلام : فما يمنعك من استلحاقه ؟

قال: أخاف هذا العير (٢٢) الجالس أن يخرق على إهابى !

وقيل لابن عباس لما أظهر قوله فى العول بعد موت عمر - ولم يكن قبل يظهره ، هلا قلت هذا وعمر حى !

وعمر هو الذى شد بيعة أبى بكر ووقم «كوى» المخالفين فيها فكسر سيف الزبير لما جرده ، ودفع فى صدر المقداد ، ووطئ فى السقيفة سعد ابن عبادة ، وقال: اقتلوا سعد ، قتل الله سعدا ! وحطم أنف الحباب ابن المنذر الذى قال يوم السقيفة : أنا جُذَيلُها المحكك وعُذَيقها المرجب وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين وأخرجهم منها . ولولاه لم يثبت لأبى بكر أمر ، ولا قامت له قائمة .

وهو الذى ساس العمال وأخذ أموالهم فى خلافته وذلك من أحسن السياسات (٢٣) .

واكتفى بهذا القدر من التعريف ، واسمحوا لى أن أعرض عليكم أهم ما جاء فى هذا الفصل تحت عنوان الإفادة ، ثم تنتقل بعد ذلك إن شاء الله إلى الفصل الثانى والله الميسر وهو وحده المستعان.

---

(٢٣) العير : عير القوم أى سيدهم .

(٢٤) شرح نهج البلاغة : ١/ ١٧٣ - ١٧٤ .

الإفادة

إن المقصود بترك الدنيا ، التحرى فى المال، فلا تأخذنا الدنيا فنجمعه من حل ومن حرم ، وأيضا إنفاق المال فلا يكون إنفاقه إلا فى سبيل الله عز وجل وليس المقصود بترك الدنيا أبدا ، الدروشة وما إلى ذلك من أفعال بعض المنتسبين إلى الصوفية ، فالإسلام لا يطلب منا ذلك ولكنه يطلب منا النية الصادقة لله فلنكتسب المال من حلال ولننفقه فى سبيل الله ولنصحح مدار حياتنا فنجعل العمل لوجه الله ، والراحة للتقوى على العبادة ، والكلام من الذكر ، والسكوت من الفكر ، ولنعلم جيدًا أننا لسنا سببا لعزة الإسلام ، ولكن الإسلام هو الذى أعزنا ، فكلما سارعنا بتطبيق أحكامه والسير بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله كلما عملنا للآخرة وابتعدنا عن الزائلة .

هذا هو المقصود بترك الدنيا وحتى يكون كلامى وضوح فلنقرأ سويا هذه القصة :

روى الزبير بن بكار ، قال : لما قلد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عمرو بن العاص مصر ، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت فكتب إليه .

أما بعد ....!

فقد ظهر لى من مالك ما لم يكن فى رزقك ولا كان لك مال قبل أن استعملك ، فأنى لك هذا؟! فوالله لو لم يهمنى فى ذات الله إلا من

أختان من مال الله ، لكثر همى ، وانتشر أمرى ، ولقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هو خير منك ، ولكنى قلدتك رجاء غنائك؛ فاكتب إلى من أين لك هذا المال ؟، وعجل .

فكتب إليه عمرو .

أما بعد . . . .!

فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين ، فأما ما ظهر لى من مال فإنا قدمنا بلادا رخيصة الأسعار ، كثيرة الغزو ، فجعلنا ما أصابنا فى الفضول التى اتصل بأمير المؤمنين نبؤها ، ووالله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتُك، وقد ائتمنتنى فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير منى ، فإذا كان ذاك فوالله ما دقَقْتُ لك يا أمير المؤمنين بابا ، ولا فتحت لك قُفْلا .

فكتب إليه عمر :

أما بعد . . .!

فإنى لستُ من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام فى شىء ، ولكنكم معشر الأمراء ، قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا عُذْرًا ، وإنما تأكلون النار ، وتتعجلون العار ، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ، فسلِّم إليه شطر مالك .

فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاما ودعاه يأكل، فقال ـ محمد ـ: هذه تقدمة الشر ، ولو جئتنى بطعام الضيف لأكلت ، فنحٍّ عنى طعامك، وأحضِرْ لى مالك ، فأحضره ، فأخذ شطره .

فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه ، قال: لعن الله زمانا صرتُ فيه عاملا لعمر ، والله لقد رأيتُ عمر وأباه على كلّ واحد منهما عباءة قطوانية [٢٤] لا تجاوز مأبض ركبتيه ، وعلى عنقه حُزْمة حطب ، والعاص بن وائل فى مُزَرَّرَاتِ الديباج.

فقال محمد : إيها عنك يا عمرو ! فعمرُ والله خير منك ، وأما أبوك وأبوه فإنهما فى النار ، ولولا الإسلام لألفيت معتلقا شاة ، يسرك غررها ، ويسوءُك بُكُوءُها [٢٦] .

قال: صدقت فاكتم على ، قال : أفعل [٢٧] .

هذا هو الأمر الوحيد الذى أردت أن أوضحه فى الإفادة حتى لا يفهم بمفهوم خاطئ . هذا المفهوم الخاطئ هو يظن الكثير أن ترك الدنيا يكون بالزهد فى العمل والإقبال على الذكر فقط ، وبالطبع هذا غير سليم فالإقبال على الآخرة يكون بتحرى الحلال فى المال والعمل من أجل إقامة شرع الله ، والعمل من أجل تدعيم البيت والأسرة والمجتمع لطاعة المولى عز وجل ، تحرى الحلال واجتناب الحرام هذا هو المقصود وأخيرًا أسأل الله لى ولكم العيش فى طاعته والموت على طاعته والخشوع مع أهل جنته ، اللهم أمين .

---

(٢٤) قطوانية : منسوبة إلى قطوان ، موضع بالكوفة ، تنسب إليه الأكسية .

(٢٥) المأبض : باطن الركبة .

(٢٦) يقال: بكأت الناقة بكواء ، إذا قل لبنها.

(٢٧) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ١/ ١٧٤ ، ١٧٥.



الفصل الثانى

تعطير الأنام

فى كلام الإمام

الفصل الثاني
تعطير الأنام من كلام الإمام

سبق وأن ذكرنا في كتابنا السابق « دروس ومواعظ من حياة الصديق» أن الكلام الطيب الذى يتناول الدين ويكون إجماله ومحتواه من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، لابد وأن يكون هذا الكلام ذو رائحة عطرة ، وذو طعم أحلى من العسل المصفى فما نعلم كلام خير منه.

وحتى لا أطيل عليكم فقد تحدثت فى هذا الأمر فى كتابنا السابق ، إذا سندخل فى الموضوع مباشرة فى هذا الكتاب إن شاء الله منعًا للإطالة .

عليك بإخوان الصدق

أخرج الخطيب وابن عساكر وابن البخار عن سعيد بن المسيب قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة حكم كلهـا قـال :

ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا. ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومنّ من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت

الحيره فى يده وعليك بإخوان الصدق تعس فى أكتافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء، وعليك بالصدق وإن قتلك ولا تعرض فيما لا يعنى، ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبنَّ حاجتك إلى من لا يحبُّ نجاحها لك ، ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله، ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم ، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله ، وتَخَشَّعْ عند القبور ، وذل عند الطاعة ، واستعصم عند المعصية، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) .

رحمة الله

عن أسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال : قدم على النبى ﷺ سبى ، فإذا امرأة من السبى تحلب ثديها تسقى، إذا وجدت صبيا من السبى أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته.

فقال لنا النبى ﷺ : « **أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟** »

قلنا : لا ، وهى تقدر على أن لا تطرحه .

فقال : « **الله أرحم بعباده من هذه بولدها** » (٣) .

(١) سورة فاطر ٢٨ .
(٢) حياة الصحابة للكاندهلوى ٤/ ٢٧٩.
(٣) جامع المسانيد والسنن ١٨/ ١٢.

تقوى الله أفضل العُدَّة

قد يظن الكثير من الناس أن الفوز فى المعارك ، يكون بكثرة السلاح وبتفوقه ، ولكنهم للأسف لا يعلمون أن النصر من عند الله.

واقرؤوا معى ما كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ومن معه من الأجناد !.

كتب عمر رضي الله عنه .

أما بعد . . . .

فإنى آمُرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العُدَّة على العدو ، وأقوى المكيدَةِ فى الحرب.

وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراسا من المعاصى منكم من عدُوِّكم فإن ذنوب الجيش أخوَفُ عليهم من عَدُوِّهم ، وإنما يُنصَرُ المسلمون بمعصيةِ عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عُدتُنا كعُدَّتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا نُنْصَرْ عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.

واعلموا أن عليكم فى مَسيرتِكُم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستَحْيُوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله ، وأنتم فى سبيل الله، ولا تقولوا : إن عَدُوَّنا شر منا ، فلن يُسَلَّطَ علينا وإن أسأنا ! فَرُبَّ قوم قد

سُلِّطَ عليهم شر منهم كما سُلِّطَ على بنى إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كُفَّار المجوس : ﴿ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً ۝ ﴾ [٤] واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونهُ النصر على عدوكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم .

وترفّق بالمسلمين فى مسيرهم ولا تُجشّمهم مسيرا يُتْعِبُهُم ولا تُقَصِّر بهم عن منزلٍ يَرفُقُ بهم ، حتى يبلغوا عدوَّهم ، والسَّفَرُ لم يَنْقُصْ قُوّتَهُمْ، فإنهم سائرون إلى عَدُو مقيم حَامِى على الأنفس والكُراع [٥] وأقم بمن معك فى كل جُمُعَةٍ يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يُحيُون فيها أنفُسَهُم ، ويَرُمُّون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونَحِّ منازلهم عن قُرى أهل الصُّلحِ والذمَّةِ ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ولا يرزأ [٦] أحدًا من أهلها شيئا فإن لهم حُرْمَةً وذمةً ، ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ؛ فما صبروا لكم فتولُّوهُم خيرًا ، ولا تستنصروا على أهل الحرب بظُلْمِ أهل الصلح ، وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرُهُم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك فى بعضه ، والغاشُ عين عليك ، وليس عينا لك، وليكن منك عنك دُنُوِّك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتَبِث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومواقفهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم ، وانتق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق

---

(٤) الإسراء: ٥. (٥) الكراع : أى الخيل والسلاح. (٦) يرزأ : أى ينقص .

الخيل، فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ، لا تَخُصَّ بها أحدًا بهوى، فيضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ولا سرية فى وجَه تتخوف عليها فيه غلبة أو ضيعة ونكاية ، فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة مالم يستكرهك فقال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها فتصنع بعدوك كصنْعه بك ، ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ البيَاتِ جهدَكَ ، ولا تُؤتَى بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه لتُرْهِبَ بذلك عدو الله وعدوك والله ولى أمرك ، ومن معك ، وولى النصر لكم على عدوكم والله المستعان (٧) .

الفتح والغفران أحب من الدنيا

حدثنا أبو نوح حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ، قال : فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد عليّ ، قال: فقلت لنفسى : ثكلتك أمك ياابن الخطاب ، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يرد عليك ، قال: فركبت راحلتى فتقدمت مخافة أن يكون نزل فى شيء، قال: فإذا أنا بمنادى ينادى : يا عمر ، أين عمر قال : فرجعت وأنا أظن أنه نزل فى شيء ، قال : فقال النبى ﷺ :

(٧) العقد الفريد : ١/ ١٣٠ ـ ١٣٢ .

« نزلت علىّ البارحة سورة هى أحب إلى من الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾» (٨) رواه البخارى والترمذى والنسائى من حديث مالك (٩) .

الرجال ثلاثة والنساء ثلاث

أخرج ابن أبى شيبة وابن أبى الدنيا والخرائطى والبيهقى وابن عساكر عن سمرة بن جندب قال : قال عمر رضي الله عنه :

الرجال ثلاثة والنساء ثلاث .

فأما النساء فامرأة مسلمة لينة ودودة ولود تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها وقليلا ما تجدها وامرأة دعاء لا تزيد على أن تلد الأولاد ، والثالثة غل قمل يجعلها الله فى عنق من يشاء فإذا شاء أن ينزعه نزعه.

والرجال ثلاثة : رجل عفيف هين لين ذو رأى ومشورة ، فإذا أنزل به أمر ائتمر رأيه وصدر الأمور مصادرها، ورجل لا رأى له إذا نزل به أمرٌ أتى ذا الرأى والمشورة فنزل عند رأيه ، ورجل حائر بائر لا يتم رشدًا ولا يطيع مرشدًا (١٠) .

(٨) سورة الفتح : آية ١ ، ٢ .
(٩) انظر جامع المسانيد والسنن : ١٨/ ١٠.
(١٠) كنز العمال : ٨/ ٢٣٥ .

أذهبتم طيباتكم

فلننظر سويا إلى هذه القصة العظيمة التى يتضح لنا من خلالها مدى عظمة هذا الإمام ومدى أنه يتنازل عن رأيه إن كان مخاطئا فهذه هى سمة العلماء .

مر يوما بشاب من فتيان الأنصار وهو ظمآن ، فاستقاه فجَدَح [١١] له ماء بعسل فلم يشربه ، وقال : إن الله تعالى يقول : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠] .

فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين ، إنها ليست لك ولا لأحد من هذه القبيلة اقرأ ما قبلها : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ [الأحقاف : ٢٠] ؟!

فقال عمر : كل الناس أفقه من عمر [١٣] .

ما أعظم هذا الإمام يطأطئ رأسه أمام الحق ولا يتعالى ويغتر كبعض الدعاة فى عصرنا هذا إذا ما واجهته بأمر يخالف كلامه ويدحض رأيه الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وأورثنا صفاته.

التراويح

هذه القصة قصة جميلة يتسنى لنا من خلالها معرفة كيف جُمع المسلمين على إمام واحد فى التراويح ؟ !

(١١) جدح : أى خلط . (١٢) شرح نهج البلاغة : ١/ ١٨٢. (١٣) الأحقاف: ٢٠.

عن عروة بن الزبير ﷺ أن عائشة زوج النبى ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ليلة فى جوف الله فصلى فى المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج فى الليلة الثانية فصلى فصلوا بصلاته وأصبح الناس يتحدثون بذلك وكثر أهل المسجد فى الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلى وصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج إليهم فطفق رجال يقولون : الصلاة فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى للصلاة أقبل على الناس بوجهه ثم تشهد وقال :

« أما بعد . . .

فإنه لم يخف علي شأنكم الليل لكنى خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فكان رسول الله ﷺ يرغبهم فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة ويقول : « **من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه** » وتُوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ثم كان الأمر على ذلك في خلافه أبى بكر الصديق رضوان الله عليه وصدراً من خلافة عمر رضوان الله عليه .

قال عروة فأخبرنى عبد الرحمن بن القارئ وكان من عمال عمر وكان يعمل مع عبد الله بن الأرقم على بيت مال المسلمين أن عمر خرج ليلة فى رمضان وهو معه فطاف في المسجد وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسه ويصلى الرجل فيصلح بصلاته الرهط فقال عمر

رضى الله عنه : « **والله إنى لأظن لو جمعنا هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم على أن يجمعهم على قارئ واحد فأمر أبى بن كعب رضى الله عنه أن يقوم بهم فى رمضان** » .

فخرج عمر ﷺ والناس يصلون بصلاة قارئهم ومعه عبد الرحمن ابن القارئ فقال له عمر : نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله .

أيضا :

* عن أبى عثمان أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه دعا ثلاثة قراء فى شهر رمضان فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ ثلاثين آية وأمر أوسطهم أن يقرأ بخمس وعشرين وأمر أبطأهم أن يقرأ عشرين آية.

* عن عبد الله بن حكيم الجهنى قال : كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا دخل شهر رمضان صلى بنا صلاة المغرب ثم تشهد بخطبة خفيفة ثم قال:

« أما بعد . . . .

فإن هذا الشهر شهر كتب الله عليكم صيامه ولم يكتب عليكم قيامه من استطاع منكم أن يقوم فإنها من نوافل الخير التى قال الله عز وجل ومن لم يستطع منكم ، أن يقوم فلينم على فراشه ليتق إنسان منكم أن يقول : أصوم إن صام فلان وأقوم إن قام فلان من صام منكم أو قام فليجعل ذلك لله عز وجل وأقلُّوا اللغو فى بيوت الله واعلموا أن

أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة. ألا لا يتقدم الشهر منكم أحد ثلاث مرات ألا لا تصوموا حتى تروه. ألا وإن غُم عليكم فلن يغم عليكم العدد فعدوا ثلاثين ثم افطروا. ألا ولا تفطروا حتى تروا الغسق على الظراب ».

* عن أبى إسحاق الهمدانى قال : خرج على رضوان الله عليه أول ليلة من شهر رمضان فسمع القراءة فى المساجد ورأى القناديل تزهر ، قال: « نور الله لعمر فى قبره كما نور مساجد الله بالقرآن».

* وعن مجاهد قال: خرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه ذات ليلة فى شهر رمضان فسمع تهافت الناس بقراءة القرآن فى المساجد فقال على : « نور الله على عمر قبره كما نور مساجدنا » (١٤) .

وعمر لا تنسيه

عن جابر بن عبد الله قال : عسسنا مع عمر بن الخطاب ﷺ ذات ليلة بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمة فيها نويرة تقدح أحيانا وتطفأ أحيانا وإذا فيها صوت حزين فقال : « أقيموا مكانكم » ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فإذا عجوز تقول :

على محمد صلاة الأبـــــرار   صلى عليه المصطفون الأخيار

قد كنت قوّاما تلى الأسحار   فليت شعرى والمنايا أطـــوار

هل تجمعنى وحبيبى الدار؟

---

(١٤) التراويح : سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابن الجوزى.

فبكى عمر رضوان الله عليه حتى ارتفع صوته ومضى حتى انتهى إلى الخيمة فقال : السلام عليكم . السلام عليكم السلام عليكم فأذنت له فى الثالثة ، فإذا عجوز ، فقال لها عمر : أعيدى على قولك فأعادت عليه قالها بصوت حزين فبكى عمر ثم قال : « وعمر لا تنسيه رحمك الله » .

فقال : وعمر فاغفر له إنك أنت الغفار (١٥) .

يا الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، يطلب من يستغفر له ، فما بالكم بحالنا نحن . « اللهم إنا نسألك السلامة».

أفضل غنيمة

حدثنا أحمد بن الحسن ، حدثنا عبد الله بن نافع الصائغ قراءة عليه عن حماد بن أبى حميد عن زيد بن أسلم ، عن أبيه عن عمر بن الخطاب أن النبى ﷺ بعث بعثا قبل نجد فغنموا غنائم كثيرة فأسرعوا الرجعة فقال رجل ممن لم يخرج ، ما رأينا بعثا أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البعث ، فقال النبى ﷺ : « **ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة ؟**

قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس فأولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة » (١٦) .

---

(١٥) سيرة عمر بن الخطاب ﷺ لابن الجوزي : ٨٢.
(١٦) جامع المسانيد والسنن : ١٨ / ١٩ .

من منا يحب رسول الله ﷺ ؟

أرى الكثير من الأمة الإسلامية يصيح بودى لو أعلم كيف أرى رسول الله ﷺ فى المنام ؟ وأنعم برفقته فى منام فى الدنيا وأيضا فى الآخرة .

والإجابة سهلة ويسيرة إذا ما كانت على صفحات هذا الكتاب المتواضع ولكن اعذرونى عندما أقول أنها صعبة جدا فى التنفيذ.

وحتى لا يكون بكلامى غموض اسمحوا أن أعرض عليكم سؤالاً غاية فى الأهمية وهو . من منا يحب رسول الله ﷺ بصدقٍ وإخلاص؟

قبل أن تتسرعوا فى الرد اقرؤوا هذه القصة ثم ليجب كُلٌ منا على نفسه.

حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أنه فرض لأسامه بن زيد فى ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وفرض لعبد الله بن عمر فى ثلاثة آلاف .

قال عبد الله بن عمر لأبيه : لم فضلت أسامة على ؟ فوالله ما سبقنى إلى مشهد .

قال « يعنى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه » لأن زيدًا كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك ، وكان أسامة أحب إلى رسول الله منك ، فآثرت حب رسول الله ﷺ علىَ حبى [١٧] .

---

(١٧) جامع المسانيد والسنن : ١٨/١٩.

فمن منا يقدم حب رسول الله ﷺ على رغباته وشهواته من منا يقدم حب رسول الله ﷺ على مصلحة أولاده ، وبالطبع لا أقصد بالحب هنا الحب الذى جاء فى حديث رسول الله ﷺ « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه** » .

فهذا الحب نحن مأمورون به ، ولكنى أقصد الدرجة التى تعلوه فحبه والإيمان بدعوته واجب ولكن تقديمه على كل الملذات والشهوات والرغبات المباحة سنة فمن منا يعمل بتلك السنـة حتى نـرى منه الإخلاص فى الحب والمثل الحى لما أقول الحديث السابق فكان من أن يعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه أزيد من أسامة رضي الله عنه ولكنه أعطاه أقل لعلمه أن رسول الله ﷺ كان يحب أسامة فهذا الحب فاق حب الأوامر إلى الحب من أجل الحب ، الحب الذى من خلاله نرى الصدق والإخلاص .

وحتى أبين لكم لنضرب مثلا من عصرنا يبين الحب الذى أريده - أيضا - لكم « لنفرض أن المرء منا قد أعطاه الله المال أو السلطة أو النفوذ، وسألته ابنته أن يأتى لها بخادمة هل سيقول لابنته : يا بنيتى إن رسول الله ﷺ أوصى ابنته عندما طلبت ذلك بالذكر فهو خير لها ، أم أن عاطفته ستسبق تفكيره فى الحبيب محمد ﷺ »: وأختم هذه المسألة بقولى: اللهم أنعم علينا بطاعتك .

مكانتنا فى الإسلام

بعد الحديث السابق ، أود أن أسوق بشرى لنا جميعا هذه البشرى تنطبق علينا إن أحسنا وأمنا واتقينا المولى عز وجل فى السر والعلانية.

وحتى لا أطيل عليكم فإليكم البشرى .

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا فقال : « **أنبئونى بأفضل أهل الإيمان إيمانا** » .

قالوا : يا رسول الله الملائكة .

قال : « **هم كذلك ويحق لهم ذلك ، وما يمنعهم وقد أنزلهم الله المنزلة التى أنزلهم بها ؟ بل غيرهم ؟** ».

قالوا : يا رسول الله الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة .

قال: « **هم كذلك ، ويحق لهم وما يمنعهم ، وقد أنزلهم الله المنزلة التى أنزلهم بها ؛ بل غيرهم ؟** ».

قالوا : يا رسول الله الشهداء الذين استشهدوا مع الأعداء .

قال : « **هم كذلك ، ويحق لهم ، وما يمنعهم ، وقد أكرمهم الله بالشهادة مع الأنبياء ؟ بل غيرهم** ».

قالوا : فمن يا رسول الله ؟

قال :

« أقوام فى أصلاب الرجال يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى ، ويصدقون بى ولم يرونى، يجدون الورق المعلق فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيمانا » (١٨) .

إنما ذلك فى آخر الزمان

أسوق إليكم بأمر المولى عز وجل هذه القصة لأن لى عليها تعليق سأذكره إن شاء الله فى الإفادة وأرجو أن تقرأوا هذه القصة جيدًا عسى أن تستخلصوا منها ما خلصت إليه فيكون كلامى فى الإفادة للتذكرة ، وحتى لا أطيل عليكم فإليكم القصة .

حدثنا أبو عبيد ، قال : حدثنا مروان بن معاوية ، قال : حدثنا محمد بن سوقة ، قال : أخرج إلى نعيم بن أبى هند صحيفة فأتى فيها:

« من أبى عبيدة ومعاذ إلى عمر : أما بعد ، فإنا عهدناك وشأن نفسك لك مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يدك الشريف والوضيع والصديق والعدو ولكل حصَّته من العدل . . فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ؟

« وإنا نحذرك ما حُذِّرت الأمم قبلك ، يومًا تَعْنُو فيه الوجوه وتَجِبُ فيه القلوب ، وتُقطع فيه الحجج لعزَّة مَلِكٍ قهرتهم جبروته ،

(١٨) جامع المسانيد والسنن : ١٨/ ٢٦ ، ٢٧ .

والخلق داخرون له ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته ».

« وإنه ذُكِرَ لنا أنه سيأتى على الناس زمان ، فيه أخوان العلانية أعداءُ السريرة ، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابُنا من قلبك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا وإنا كتبنا إليك نصيحة والسلام عليك ! ».

فكتب إليهما عمر :

« جاءنى كتابكما تذكُران أنكما عهدتُمانى وشأن نفس إلى مهم ، فأصبحتُ قد وَليتُ أمر هذه الأمَةِ أحمرها وأسودها يجلس بين يدى الشريف والوضيع ، والصديق والعدو ، ولكل حِصَّتُه من العدل . فانظر كيف أنت عند ذلك عمر ؟ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

وكتبتما تحذرانى ما حُذِّرت الأمم قبل ، ليوم تَعْنُو فيه الوجوه ، وتجب فيه القلوب ، وتقطع فيه الحجج ، لعزة مَلِكٍ قهرتهم جبروته ، والخلق له داخرون ، ينتظرون قضاءه ويخافون عقوبته ، وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس ، يُبليان كل جديد ويُقرِّبان كل بعيد، ثم يصير الناس إلى الجنة ، وإلى النار .

« كتبتما تذكران أن سيأتى على الناس زمانٌ ، يكون فيه إخوان العلانية أعداء السريرهُ ، ولستما بأولئك ، ولا هذا ذاك الزمان [إنما ذلك فى آخر الزمان] ، إذا ظهرت الرغبة والرَّهْبَة ، وكانت رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم.

وكتبتما تعوذان بالله أن ينزل كتابكما من قلبى سوى المنزل الذى نزل

به فى قلوبكما ، وأنكما كتبتما إلى النصيحة وقد صدقتما . فتَعَهَّدَانى منكما بكتاب ، فإنى لاغنى بى عنكما». والسلام عليكما [١٩] .

التحذير والخوف من الكبر

حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن الحرث بن معاوية الكندى : أنه ركب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خلال، قال: فقدم المدينة فسأله عمر : ما أقدمك ؟

قال: لأسألك عن ثلاث خلال .

قال: وما هن ؟

قال: ربما كنت أنا والمرأة فى بناء ضيق فتحضر الصلاة ، فإن صليت أنا وهى كانت بحذائى ، وإن صلت خلفى خرجت من البناء؟

فقال عمر : تستر بينك وبينها بثوب ثم تصلي بحذائك إن شئت.

وعن الركعتين بعد العصر ؟

فقال : نهانى عنهما رسول الله ﷺ .

قال : وعن القصص فإنهم أرادونى على القصص .

فقال: ما شئت ، كأنه كره أن يمنعه .

قال : إنما أردت أن انتهى إلى قولك ؟

قال : أخشى عليك أن نقص فترتفع عليهم نفسك ، ثم تقص

(١٩) الخبر بكامله فى الخطب والمواعظ لأبى عبيد القاسم بن سلام ٢٠٩ ـ ٢١٣.

فترتفع ، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا ، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك [٢٠] .

(٢٠) جامع المسانيد والسنن : ١٨ / ٤٦ ـ ٤٧ .

الإفادة

فى هذا الفصل الكثير والكثير من الكلمات العظيمة ولكنى سأكتفى إن شاء الله بالتعرض إلى موضعين وهما .

١ - الموضوع الأول : أين الأخوة في الله ؟!

جاء تحت عنوان [إنما ذلك فى آخر الزمان] كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه « كتبتما تذكران أن سيأتى على الناس زمان ، يكون فيه إخوان العلانية أعداء السريرة ، ولستما بأولئك ، ولا هذا ذاك الزمان «إنما ذلك فى آخر الزمان » إذا ظهرت الرغبة والرهبة وكانت رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم ».

إن هذا التحذير الوارد فى حديث عمر بن الخطاب ﷺ للأسف ينطبق على هذا العصر فلقد أصبحنا نعتقد الصداقة والألفة والتصاحب في الله وبالله إلا عند من رحم ربى وسيطرت المادة علي هذا العصر فأصبح كل منا يسعى وراء صديق من أجل مصلحة أو منفعة أو سلطة أو نفوذ ونسينا تماما السعى وراء صديق من أجل العون على طاعة المولى عز وجل وسوف ترق بعض القلوب وتسألنى وكيف صلاح هذا الأمر ؟

وللإجابة نقول بأمر المولى عز وجل لقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ : « عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة في البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما

يقبلك منه واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى»(٢١).

الموضوع الثاني : إياك والكبر :

جاءت تحت عنوان [التحذير والخوف من الكبر] أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم نفسك ، ثم تقص فترتفع ، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا ، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك ».

خاف عمر رضي الله عنه على الحرث من التعالى والتعاظم وقولى فى هذا الموضوع ما قاله العلامة ابن قدامة :

اعلم : أن الكبر من المهلكات ، ومداواته فرض عين ، ولك فى معالجته مقامان .

الأول : فى استئصال أصله وقطع شجرته ، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه ويعرف ربه ، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة ، علم أنه أذل من كل ذليل ، ويكفيه أن ينظر فى أصل وجوده بعد العدم ثم من نطفة خرجت من مخرج البول ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، فقد صار شيئا مذكورا ، بعد أن كان جماداً لا يسمع ولا يبصر ، ولا يحس ولا يتحرك ، فقد ابتدأ قبل حياته، وبضعفه قبل قوته وبفقره قبل غناه.

(٢١) مختصر منهاج القاصدين : ٩٩ ، ١٠٠ .

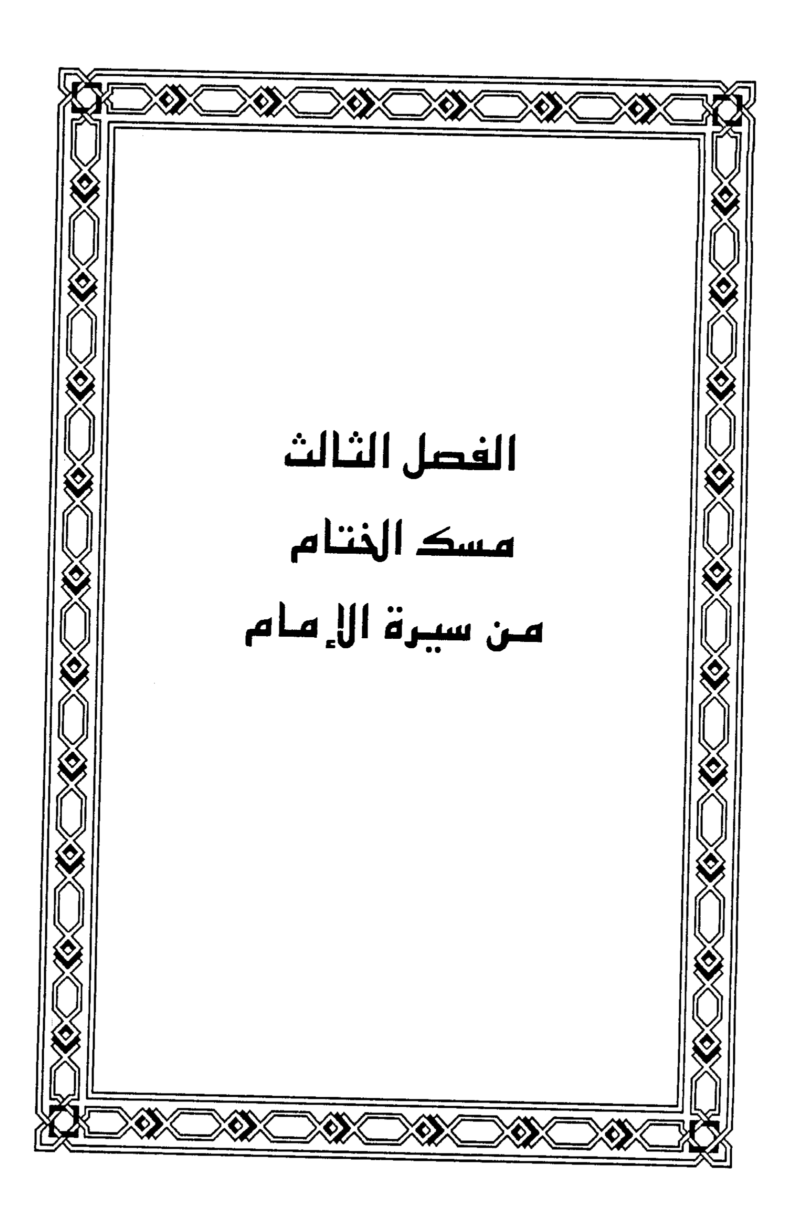
الثانى : فيما يعرض من التكبر بالأنساب ، فمن اعتراه الكبر من جهة النسب ، فليعلم أن هذا تعزز بكمال غيره ، ثم يعلم أباه وجده ، فإن أباه القريب نطفة قذرة ، وأباه البعيد تراب ، ومن اعتراه الكبر بالجمال ، فلينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى ظاهرة نظر البهائم ومن اعتراه من جهة القوة ، فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من كل عاجز ، وإن حُمَّى يوم تحلحل من قوته مالا يعود فى مدة ، وإن شوكة لو دخلت فى رجله لأعجزته ، وبقة لو دخلت فى أذنه لاقتلعه .

ومن تكبر بسبب العلم ، فليعلم أن حجة الله على العالم آكد من الجاهل وليتفكر فى الخطر العظيم الذى هو بصدده ، فإن خطره أعظم من خطر غيره ، كما أن قدره أعظم من قدر غيره [٢٢] .

فاللهم أعطنا بالعلم التواضع للناس وخفض الجناح والذل لعظمتك آمين.

---

(٢٢) مختصر منهاج القاصدين : ٢٣١ ـ ٢٣٣ .



الفصل الثالث

مسك الختام

من سيرة الإمام

الفصل الثالث

مسك الختام من سيرة الإمام

هذا الفصل الأخير ، أردت أن أجعله خاصا بأعظم ما كتب عن ر المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، وفيه أجمل المعانى وأعظم الصفات التى لو اتصف بها إنسان لسمى إلى قدر العلماء والصحابة فهيا بنا سويا نقرأ ونتعلم ونرجو من الله حسن العمل والاقتداء.

بينى وبينكم كتاب الله!

نبذ الدنيا من وراء ظهره فتخفف من الأثقال لأجل السباق كان يخطب وفى إزاره ثنتا عشرة رقعة ، كف كفه عن المال زاهدًا فيه حتى أملق أهله .

رأى يوما صبية تمشى فى السوق والريح يلقيها لضعفها ، فقال : من يعرف هذه ؟

فقالوا : ابنة عبد الله : هذه إحدى بناتك.

قال: أى بناتى؟

قالوا : بنت عبد الله بن عمر .

قال: فما بلغ بها ما أرى ؟

قال : « أى على بن أبى طالب .

قال: إمساكك ما عندك .

قال: إمساكى ما عندى يمنعك أن تطلب لبناتك ما يطلب الناس؟ أما والله مالك عندى إلا سهمك مع المسلمين وسعك أو عجز عنك ، بينى وبينكم كتاب الله !

عف عن الدنيا وقد تزخرفـــت
ممكنـــة وعافهـــا وقـــد قـــدر

محكم فى الناس يقضى بينهـــم
بمحكم الآى ومنصوص الســـور

حدثت عنـــه مثـــل مـــا تحدثـــت
عن كرم الأغصان حلواء الثمر [١]

أعثرات عمر تتبع ؟

إليكم ما قاله العلامة ابن كثير أولا ثم أسوق لكم القصة التى تحمل العنوان ، يقول العلامة ابن كثير .

عن أنس قال: كنت مع عمر فدخل حائطا لحاجته فسمعته يقول ـ وبينى وبينه جدار الحائط ـ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ ، والله

(١) التبصرة لابن الجوزى : ١/٤٩٧ ، ٤٩٨ ، والبداية والنهاية : ٧/١٢٩ ولكن المتحدث معه هو الإمام على وليس جمع .

لتتقين الله ياابن الخطاب أو ليعذبنك .

وقيل : إنه حمل قربة على عاتقه فقيل له فى ذلك ، فقال: إن نفسى أعجبتنى فأردت أن أذلها ؛ وكان يصلى بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلى إلى الفجر .

وما مات حتى سرد الصوم ، وكان فى عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده ويقول : بئس الوالى أنا إن شبعت والناس جياع .

وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء ، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه فيحمل صريعا إلى منزله فيعاد أياما ليس به مرض إلا الخوف.

* وقال طلحة بن عبد الله : خرج عمر ليلة فى سواد الليل فدخل بيتا فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك ؟

فقالت: إنه يتعاهدنى مدة كذا وكذا يأتينى لما يصلحنى ويخرج عنى الأذى.

فقلت لنفسى : **ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع** [٢].

---

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ١٢٨/٧.

هل لك في أجر ساقه الله إليك ؟

روى ثابت عن أنس قال: بينما عمر يعس بالمدينة إذ مر برحبة من رحابها فإذا هو ببيت من شعر ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورأى رجلا قاعدا، فدنا فسلم عليه ثم قال : من الرجل ؟ فقال: رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله ، قال: فما هذا الصوت فى هذا البيت ؟ قال: امرأة تمخض.

قال: هل عندها أحد؟

قال : لا . فانطلق حتى أتى منزلة فقال لأمرأته أم كلثوم بنت على: هل لك فى أجر ساقه الله إليك ؟ قالت: وما هو ؟

قال: امرأة غريبة تمخض ليس عندها أحد.

قالت: نعم إن شئت.

قال: فخذى ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئينى ببرمة وشحم وحبوب فجاءت به فقال: انطلقى . وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى إلى البيت فقال لها : ادخلى إلى المرأة وجاء حتى قعد إلى الرجل فقال له : أوقد لى نارا . ففعل فأوقد تحت البرمة حتى أنضجها وولدت المرأة .

فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام .

فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين هابه فجعل يتنحى عنه .

فقال: مكانك كما أنت .

فحمل البرمة عمر ﷺ فوضعها على الباب ثم قال: أشبعيها . ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدى الرجل فقال: كُلْ ويحك فإنك قد سهرت من الليل. ففعل ثم قال لامرأته اخرجى . وقال للرجل إذا كان غد فائتنا نأمر لك بما يصلحك ففعل الرجل فأجازه وأعطاه (٣) .

أنت تحمل وزرى يوم القيامة ؟

قال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال: يا أسلم ههنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيان لها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء .

قالت: وعليك السلام .

قال : ادنو .

قالت: ادن أو دع . فدنا فقال: ما بالكم ؟

قالت : قصر بنا الليل والبرد .

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟

قالت: من الجوع ، فقال: وأى شىء على النار ؟

(٣) التبصرة : ٤٩٩/١ ـ ٥٠٠ ، والبداية والنهاية : ١٢٨/٧ ـ ١٢٩.

قالت : ماء اعللهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر.

فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلاً من دقيق وجراب شحم ، وقال: يا أسلم احمله على ظهرى.

فقلت : أنا أحمله عنك .

فقال: أنت تحمل وزرى يوم القيامة ؟

فحمله على ظهره وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق فى القدر ، وألقى عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ثم أنزلها عن النار وقال: إيتينى بصحفة . فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدى الصبيان وقال: كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا ـ والمرأة تدعو له وهى لا تعرفه ـ فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ثم أوصلهم بنفقه وانصرف ، ثم أقبل على فقال : يا أسلم الجوع الذى أسهرهم وأبكاهم (٤) .

بؤسا لعمر

وقال أسلم مولى عمر : قدم المدينة رفقة من تجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن نحرسهم الليلة؟

قال : نعم !

فباتا يحرسانهم ويصليان ، فسمع عمر بكاء صبى فتوجه نحوه فقال

(٤) البداية والنهاية : ٧/ ١٢٩.

لأمه: اتق الله تعالى وأحسني إلى صبيك . ثم عاد إلى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ، ثم عاد إلى مكانه ، فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي فأتى إلى أمه فقال لها: ويحك ، إنك أم سوء ، مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة من البكاء فقالت: يا عبد الله إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك ، قال: ولم ؟

قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم . قال: وكم عمر ابنك هذا؟

قالت: كذا وكذا شهرًا .

فقال : ويحك لا تعجليه عن الفطام .

فلما صلى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء .

قال: بؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديه فنادى ، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام. وكتب بذلك إلى الآفاق (٥) .

(٥) البداية والنهاية ٧/١٢٨.

وأخيرًا : رحمك الله يا عمر

اسمحوا لى أن أختم هذا الكتاب المتواضع بالحديث عن وفاة عمر ابن الخطاب ﷺ من كلام العلامة ابن قدامة رحمه الله حيث قال:

عن ابن عمر قال: كان رأس عمر فى حجرى بعد ما طعن ، وكان مرضه الذى توفى فيه ، فقال: ضع خدى على الأرض فقلت وما عليك إن كان فى حجرى أم على الأرض ، وظننت أن ذلك تبرم منه، فلم أفعل ، فقال: ضع خدى على الأرض لا أم لك ، ويلى وويل أمى إن لم يرحمنى ربى.

وروى أنه لما طعن حمل إلى بيته ، وجاء الناس يثنون عليه ، جاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بشرى من الله لك ، صحبة رسول الله ﷺ وآله وسلم ، وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال: وودت أن ذلك كان كفافا ، لالىّ ولا علىَّ ، ثم قال: يا عبد الله بن عمر ، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل : عمر يقرأ عليك السلام ، ولا تقل : أمير المؤمنين ، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرًا ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن عند صاحبيه. فمضى وسلم واستأذن عليها، ثم دخل فوجدها قاعدة تبكى ، فقال: عمر يقرأ عليك السلام ويستأذن أن يدفن عند صاحبيه فقالت: كنت أريده لنفسى ، ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما

أقبل ، قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعونى فأسنده رجل إليه ، فقال : ما وراءك ؛ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين ، أذنت ، قال: الحمد لله ما كان شىء أحب إلى من ذلك ، فإذا أنا مت فاحملونى، ثم سلم ، وقل : يستأذنك عمر بن الخطاب ، فإن أذنت فأدخلونى ، وإن ردتنى ، فردونى إلى مقابر المسلمين.

وفى أفراد مسلم من حديث المسور بن مخرمة ، أن عمر قال: والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبًا ، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

وفى خبر آخر : والله لو أن لى ما طلعت عليه الشمس أو غربت ، لافتديت به من هول المطلع (٦) .

رحمك الله يا أمير المؤمنين فنعم الرجال أنت وخير الناس أنت فى عصرك وبعد عصرك.

وأختم هذا الكتاب المتواضع بقول مأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وهو : « لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله، لولا أن أضع جبهتى لله، أو أجلس فى مجالس ينتقى فيها طيب الكلام كما ينقى جيد التمر ، أو أن أسير فى سبيل الله عز وجل» (٧) .

(٦) مختصر منهاج القاصدين : ٣٩٢ ، ٣٩٣ .
(٧) حلية الأولياء : ١/ ٥١.

الفهرس

الفهرس

الفصل الثالث